العدد: 01 المجلد: 09 ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

الاستعارة الحربية في التواصل السياسي

جيل غوتي
ترجمة: د. طارق غرماوي
بكلية الإعلام والتواصل بجامعة لافال

الملخص:

لم تعد الاستعارة مجرد صورة بلاغية ، فقد أضحت محطة رسو ينطلق منها عدد كبير من اللسانيين، والسيميائيين، وعلماء الدلالة، وعلماء الاجتماع، وعلماء الإثنيات، والفلاسفة، و آخرون في تحديد وتعميق موضوع دراستهم.وقد طال هذا التوجه علم السياسة. فتناول عدد كبير من الأبحاث، من بعض الوجوه، العلاقة بين الاستعارة والسياسة.ستنصب هذه الورقة على دراسة نمط من الاستعارة ،أو بالأحرى ما يبدو على أنه إحدى الشبكات الاستعارية في الخطاب السياسي : الاستعارة الحربية.ستتم دراستها بالاعتماد على النظرية الثانوية للا ستعارة التي بلورها جون سيرل (John Searle) في إطار نظريته حول الأفعال الكلامية.

الكلمات المفاتيح: الاستعارة الحربية - جون سيرل – الأفعال الكلامية – الخطاب السياسي

Résumée

La métaphore n'plus une simple figure rhétorique : elle est devenue le point d'ancrage à partir duquel grand nombre de linguistes, sémioticiens, sémiologues, ethnologues, philosophes et autres déterminent et développent leur objet d'étude. Ce papier s'intéresserai à une métaphore ou plutôt à ce qui apparait être l'un des principaux réseaux métaphoriques du discours politique : la métaphore guerrière en prenant appui sur la sous théorie de la métaphore mise en avant par John Searle dans le cadre de sa théorie des actes de langages.

Mots clés :Métaphore guerrière-John Searle-actes de langages-discours politique

مقدمة

[إن العراك البدني] يظهر في كل مكان في مملكة الحيوان وفي كل موضع يوجد فيه جنس البشر.تتعارك الحيوانات للحصول على ما تحتاجه(طعام،جنس،هيمنة)؛ لأن حيوانات أخرى ترغب في الشيئ ذاته،وتريد الاستئثار به دونها.إن الأمر ذاته يقع لبني البشر، مع اختلاف في التقنيات التي طورناها للوصول إلى غاياتنا. ونظراً لكوننا "حيوانات عاقلة"، فقد قمنا بمأسسة صراعاتنا بأشكال مختلفة من بينها الحرب(...) إن أحد مزايا أن يكون الواحد حيواناً عاقلاً هو أن يحصل على ما يرغب فيه دون أن يعرض نفسه لخطر العراك الجسدي الفعلي. ولهذه الغاية، ابتكر بنو جنسنا من البشر مؤسسات اجتماعية لممارسة السجال.نحن نتناقش باستمرار للحصول على ما نرغب فيه، وفي بعض الأحيان فقط، تفضي هذه النقاشات إلى عنف بدني. نعيش هذه المعارك الكلامية بالكيفية ذاتها، تقريباً، التي نعيش بها عراكاتنا الجسدية.[2]

إذا بحثنا، باعتماد منهج **فوكو**،عن تعيين العناصر الأساسية المكونة لإبيستيم البحث المعاصر في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، سيكون من الراجح إدراج الاستعارة في الاعتبار.لم تعد الاستعارة، منذ عشرين سنة، مجرد "صورة بلاغية": لقد أضحت محطة رسو ينطلق منها عدد كبير من اللسانيين، والسيميائيين، وعلماء الدلالة،وعلماء الاجتماع، وعلماء الإثنيات، والفلاسفة، وآخرون في تحديد وتعميق موضوع دراستهم.[3]

وقد طال هذا التوجه علم السياسة. فتناول عدد كبير من الأبحاث،من بعض الوجوه،العلاقة بين الاستعارة والسياسة.وقد رامت بعض هذه الأبحاث إبراز دور الاستعارة في تشييد صرح الواقع السياسي(أنظر على سبيل المثال مينوكMinogue[4]أو وظيفتها في بناء الوعي السياسي،ميلرMiller[5]). وذهب بعضها الآخر(مثل إبس Epps[6]و فيرنون Vernon[7]) إلى حد التأكيد على أن الممارسة أو المؤسسة السياسية،هي في حدِّ ذاتها، كلٌّ استعاري.ومع ذلك، فإن أغلب الدراسات تسعى، في نطاق تحليلي أكثر منه نظري،إلى دراسة استخدام الاستعارة في التواصل السياسي[8].وإذا كانت بعض هذه الدراسات، يتعلق بالاستعارة في المعالجة الصحفية والإعلامية للأحداث السياسية (على سبيل المثال، مامبي Mumby و سبيتزاكSpitzack[9]، لارسن

Larson[10] ،وسييروCierreux[11]) ، فإن معظم الدراسات من هذا النوع حاولت إلقاء الضوء على استعمال الاستعارة في الخطاب السياسي في حد ذاته. ودرست أبحاثٌ الموضوع من وجهة نظر أوسع: في صلة بالكلام السياسي العام (أنظر على سبيل المثال، **كوفمان**Kauffman[12] **بين**Paine[13] ، **بويل** Powell[14] **وزاشين** Zashin **وشابمان** Chapman[15])، وفي الخطاب السياسي المعاصر(**هاو**Howe[16]أو في الكلام الرئاسي على الخصوص، **كيتشن** Kitchen[17]). وشكلت أعمال أخرى "دراسات حالة" بانكبابها على دراسة وظيفة الاستعارة في خطاب رجال ونساء السياسة، وأحياناً في بعض الخطابات الإيديولوجية المحددة جداً. هكذا، أنجزت بعض الدراسات حول بلاغة **هيتلر**Hitler، **وروزفلت** Roosevelt ،**ونيكسون** Nixon، **وهينري** Henery[18] ، و**إيتينييفر** Etienvre[19] ، و**هانكينز**Hankins[20] ،**وبيري** Perry[21]، و**جونسون** Johnson[22] ،**ريان** Ryan[23] ،وهو Howe[24]، و**كلارك**Clark[25]. وتخصصت دراسات أخرى أكثر في الموضوعات، فتناولت الخطاب الماركسي(**كرانسام** Granssam[26] **وأنجينو** Angenot **وسيفان** Suvin [27])، والحرب الباردة (**ميدهورست** Medhurst[28] ، و **إيفي**Ivie[29])، أو انحصرت، أيضاً، في أمكنة جدِّ محدَّدَة كما في حالة اللاجئين الفلسطينيين (جونسون Johonson[30]). وتركزت بعض الأعمال الأخرى، كدراسة **بوسمان** Bosman[31]حول الآثار الإقناعية للاستعارات السياسية.

سينصب اهتمامي، في هذا المقام، على نمط من الاستعارة ،أو بالأحرى ما يبدو لي على أنه إحدى الشبكات الاستعارية في الخطاب السياسي:الاستعارة الحربية. إنَّ السياسة عند صُنَّاعِها، أو عند ملاحظيها أو محلليهاتُدعى، دائماً، حلْبة،وجولة، وصراع، ومعركة يتورط فيها المعارضون والخصوم والأعداء، وتكون موضوع "انتصار" أو "هزيمة" خلال "حملات"، و"نقاشات"، وأشكال أخرى من المواجهات تبعا لمناورات، واستراتيجيات، وتكتيكات، واعتبارات سجالية.

إن الاستعارة الحربية هي، بكل جلاء، مُكوِّن للخطاب السياسي ومثالٌ عليه. لا يعنيني، هنا، استحضار جميع أبعادها. سأكتفي بدراسة قضية محددة، ولكن أساسية بكل تأكيد، تتعلق بالوضع السيميائي للاستعارة الحربية في الخطاب السياسي.

سأقوم بدراستها بالاعتماد على النظرية الثانوية للا ستعارة التي بلورها **جون سيرل** (**John Searle**) في إطار نظريته حول الأفعال الكلامية. فبعد وصف مقتضب لمفهوم سيرل للاستعارة الحربية في الخطاب السياسي وتحديد خصائصها، سأتقصى مسألة الدلالة الحرفية للاستعارة الحربية في الخطاب السياسي، بدايةً من التقصي في دلالتها الحرفية، ولاحقاً بالحسم في طبيعتها الحرفية المتناقضة.

الاستعارة وأفعال الكلام : نظرية سيرل

اعتباراً من اللحظة الراهنة، يكون قد مضى أكثر من عشرين سنة على إقدام جون سيرل[32] الفيلسوف الأمريكي المعاصر على إرساء مداميك نظرية للغة لا تتمثل، وكما جرى الاعتقاد سابقاً، في وصف العالم بالدرجة الأولى، بقدر ما تكمن في إنجاز أفعال مختلفة. يأتي **سيرل** في نقطة عبور من تصور دلالي(بالمعنى الوضعي الصارم للمصطلح) إلى تصور تداولي للكلام.

لقد كان **جون سيرل** يبحث في نظريته حول **أفعال الكلام(speech acts**) عن تقديم الدليل على أن الكلام في إنشائه وحتى في تبنينه(**structuration**) متأثر، بالأساس، باستعمال مستخدمي اللغة.فالكلام، بالنسبة لسيرل، هو في جميع الأحوال إنجاز لبعض الأفعال (تأكيد، وعد،أمر، إلخ) . إن فعل الكلام، هذا، يتألَّف من مكونين مجرَّدين : **قوة متضمَّنة** (**force illocutoire**) وهو الفعل الذي يتجسد، على سبيل المثال، في وعد وليس في أمر؛ و **مضمون قضوي** (**contenu propositionnel**)، وهو مضمون هذا الفعل مثل الوعد بفعل شيئ بعينه وليس شيئاً آخر.

إن الشكل أو النموذج (العام) لأفعال الكلام هو ق(م) :ق تمثل قوته المتضمَّنة، و(م) تمثل مضمونه القضوي. وينعكس هذا التبنين، دائماً، بحسب سيرل، في الملفوظات التي تستخدم لإنجازها. وبالإمكان، إذن، أن يتزود كل تلفظ بمؤشر على القوة المتضمنة (الذي يمكن أن تكون

إنجازياً مثل "أنا أعد"، أو ببساطة أكثر، صيغة أو زمن الفعل)، وبمؤشر المضمون القضوي(كلمات وتعابير الملفوظ).

من بين الأفكار المهمة والجديدة التي جاء بها **سيرل**، أن القوة المتضمنة تسهم في دلالة الملفوظ. هكذا، دافع سيرل عن فكرة أن معنى ملفوظ لا يقدم بمضمونه القضوي الوحيد، ولكن، أيضاً، بالفعل الذي يساويه استعماله.فالملفوظ الآتي: "أعد بأن أكون هناك"يمكن،بحسب **سيرل**، أن تحدد دلالته،ويتم فهمه من خلال مضمونه التمثيلي:واقع الحال تستدعي حضوري، ولكن، أيضاً، من خلال القوة المتضمنة للوعد:فعل الوعد متمَّماً باستعمال الملفوظ. هذه الفكرة يمكن،في تقديري، أن تعتبر بمثابة أطروحة سيرل العامة حول الدلالة. فهي تضع أو تؤكد، دون أن تبرهن على ذلك، حقيقة أن فعل الكلام الذي يصلح لإتمام ملفوظ يسهم في دلالته. هذه الأطروحة هي،نوعاً ما، مبرمجة. إنَّها تفتح مسلكاً في البحث. وتدل، كذلك، على أن سيرل يحاول الانتقال من علم الدلالة الداخلي للكلام،إلى علم للدلالة أقل انغلاقاً يأخذ في الاعتبار، هو الآخر، الاستعمال الفعلي للغة.

لقد سعى **سيرل** إلى توضيح هذه الأطروحة ضمن ما يمكن اعتباره نظريته الموحَّدة للدلالة.إن الخصيصة الرئيسية لهذه النظرية هي أنها تأخذ في اعتبارها القدرة التعبيرية الهائلة للكلام. فهي لا تتعلق، فقط، بالتعبير الحرفي، ولكن، أيضا، بالأشكال غير الحرفية المختلفة. وقد تناول **سيرل** بهذه الكيفية، وعلى نحو ما، الخطاب الذي يُدعى ب"المعياري"(المباشر والحرفي). وما أدعوه نظرية **سيرل** الموحَّدة للدلالة تتألف، في الواقع،من تجميع لنظريات ثانوية: نظرية ثانوية للدلالة الحرفية، ومجموعة من النظريات الثَّانوية للدلالة غير الحرفية.

كل هذه النظريات تتعلق بنظرة شاملة وعامَّة، وهذا، بالتحديد، سبب تسميتها بالنظرية الموحَّدة. **فسيرل** يعالج القضية العامة للدلالة انطلاقاً من التمييز الأساسي بين مفهومين للدلالة: الدلالة الخالصة للملفوظ أو الجملة(***sentence meaning***) ، ودلالة استعماله من قبل المتكلم-على نحو ما دلالة التلفظ الفعلي للملفوظ-(***utterance or speaker'smeaning***). إن دلالة ملفوظ ما، المعنى الذي يُقرُّ به جميع مستعمليه، ليس متطابقاً في الطبيعة مع الدَّلالَة

التي يقصدها المتكلم عندما يكون هناك ما ندعوه، دائماً،"رغبته في القول" **(vouloir dire)**. وبمجرد ما نقر بهذا التمييز تبرز إمكانيتان اثنتان. إما أن تلتقي دلالة التلفظ مع دلالة الملفوظ، بمعنى أن يريد المتكلم، بالتحديد، ما يدل عليه الملفوظ، وفي مثل هذه الحالة نجد أنفسنا أمام حالة عبارة حرفية، وإمَّا أن تنفصل دلالة التلفظ، على نحو ما،عن دلالة الملفوظ.وعند استعمال المتكلم مثل هذا الملفوظ،فإنه يعني بذلك شيئاً آخر غير دلالة هذا الملفوظ فنكون، حينئذ،بصدد حالة معقدة للتلفظ غير الحرفي. ونُنبِّه،من ناحية أخرى، إلى أن **سيرل** يؤكد أنه من الممكن، دائماً، للمتكلم أن يعني، بالضبط، ما يريد أن يعنيه؛ بمعنى أن يجد ملفوظاً تتطابق دلالته،تماماً، مع دلالة تلفظه. وهو ما يسميه "مبدأالقابلية للتعبير"(**principle of expressibility**). والنتيجة، حسب **سيرل**، أن كل الحالات المعقدة للتلفظ غير الحرفية قابلة للاختزال إلى حالة بسيطة للتلفظ غير الحرفي.

إن نظرية **سيرل**[33] الثانوية للدلالة الحرفية تتضمَّن الوضع الدلالي للملفوظ ولها علاقة، على سبيل التجوُّز،بالحالة البسيطة للتلفظ: عندما تتطابق دلالة التلفظ تطابقاً تامّاً مع دلالة الملفوظ،وعندما يريد المتكلم قول ما يريد الملفوظ،الذي يصدر عنه،قولَه بالكامل. يمكن أن نعتقد أن قبول سيرل بدلالة خاصة بالملفوظ ينسفُ ،على الفور،أطروحته حول الدلالة، بمعنى، ومرَّة أخرى، أن القوة المتضمَّنةأو، على نحو عام،فعل الكلام الذي يسمح بالإنجاز، يُشارك في دلاَلة الملفوظ. ألاَ يصبح الملفوظ،منذ الآن، دلالةً، إن جاز التعبير، سابقة على استعماله الفعلي ومستقلة، بالنتيجة، عن هذا الاستعمال؟ إن إقراره بدلالة الملفوظ لم تَقُده إلى هذا التعارض. فهو، في واقع الأمر، يؤكد في نظريته الثانوية حول الدلالة الحرفية أن دلالة الملفوظ ليست مستقلة من الناحية السياقية.

إنَّ الدلالة الحرفية للملفوظ،بحسب **سيرل**، ترتبط،أساساً، بنظام سياقي خارج لغوي.وهو يؤكد،بصفة أكثر تحديداً،أن الملفوظ لا يتخذ أي دلالة إلا في علاقته بمجموعة من الفرضيات الخلفية(**background assumptions**) المرتبطة بالسياق الذي من الممكن أن يستعمل فيه الملفوظ بكيفية مناسبة لإنجاز أحد أفعال الكلام. وبعبارة أخرى، سيصبح بالنظر إلى فعل

الكلام الذي يصلح استخدامه لإنجازه، أن الملفوظ سيكون حاملاً لدلالة حرفية.وستكون الدلالة الحرفية، بهذه الكيفية،نسبية كلية : إن دلالة الملفوظ لن تكون جوهرية(**intrinsèque**)، ولكن سترتبط ببعض مكونات نظرة المتكلم إلى العالم.وسيمكن ،كذلك،مواجهة إمكانية أن يكون للملفوظ دلالات حرفية متعددة،كل واحدة منها مرتبطة بمجموعة مختلفة من الفرضيات الخلفية. وسيمكن كذلك، تبعاً لنظرية **سيرل** للدلالة الحرفية، صياغة فرضية تاريخية بأن يكون لعدد كبير من (الأغلبية،الكل؟) الملفوظات في اللغات الطبيعية، على امتداد العصور،العديد من الدلالات الحرفية المختلفة بسبب التغيرات في الفرضيات الخلفية بتحديدها للمعنى.

وعلى ضوء نظرية الدلالة الحرفية هاته،والتمييز بين دلالة الملفوظ ودلالة التلفظ، تتوضح بصورة كبيرة، أطروحة **سيرل** حول الدلالة.وتصبح صياغتها الدقيقة على النحو الآتي: إن القوة الإنجازية لأحد أفعال الكلام تشارك في دلالة الملفوظ المستخدَم(حرفيّاً وضمن سياق مناسب) لإنجاز فعل الكلام هذا لهذه القوة الإنجازية.وبعبارة أخرى، كي نحدد أيَّ قوة إنجازية، أو أيَّ فعل للكلام يشارك في دلالة ملفوظ ما،يتوجب استحضار حالة التلفظ الحرفي لهذا الفعل.

في حالة تلفظ حرفي،يعني المتكلم،بالضبط،ما يعنيه الملفوظ الذي يصدر عنه في علاقة بمجموعة محددة جدّاً من الفرضيات الخلفية.ولْنَدَعْ ،هنا، مسألة هذه الدلالة الحرفية لنتناول مسالة التلفظ غير الحرفي.إن نظريات **سيرل** الثانوية المحلية حول اللاَّ حرفية تتعلق ببعض الأشكال التي،تبعاً لها، ينفصل ما يعنيه المتكلم عن ما يعنيه الملفوظ الذي يستخدمه.وتتعلق إحدى هذه النظريات بالاستعارة(بلور **سيرل**،أيضاً، نظرية ثانويةلفعل الكلام غير المباشر وباشردراسة نظرية ثانوية عن التعبير الساخر).

والحالة الأكثر عمومية والأكثر بساطة للتلفظ الاستعاري،بحسب **سيرل**[34]،هي تلك التي يريد فيها المتكلم أن يعني حالة شيئ " **س** هو **ر**" باستعمال ملفوظ من الشكل "**س** هو **ب**".إن أهم خاصية للاستعارة هي أن يكون معناها مختلفاً،تماماً، عن معنى كلام المتكلم :إن دلالة التلفظ تنفصل كلية عن دلالة الملفوظ .فعندما يستعمل المتكلم استعارة، فإنه لا يقصد، بالمرَّة، قول

إن "**س** هو **ب**"،وإنما يريد شيئاً آخر تماماً "**س** هو **ر**".تقوم الاستعارة،أساساً،على بعض التناسب بين "**ب**" و"**ر**".فهي تشتغل بموجِب بعض التقارب أو القرابة التي يمكن أن تقوم بين"**ب**" و"**ر**"؛بالنظر ،إذن، إلى خاصية أو ملمح مشترك بين "**ب**" و "**ر**".وعلاقة التشابه هاته ،بحسب **سيرل**، مرنة ومتعددة. يُمكن أن تُحدَّد بمجموعة لا محدودة من المبادئ.وقد حدَّدَ **سيرل** نفسه سبع مبادئ مميزة[35].

إن الشاغل الرئيسي **لسيرل** في موضوع الاستعارة هو معرفة كيف يُنجَز التحول من المعنى "س هو ب"؛وبعبارة أخرى كان سيرل يبحث عن تحديد كيف يمكن للمتكلم أن يصل إلى الدلالة "س هو ر" بالقول"**س** هو **ب**" ،و "**ب**"،لِنُعدها مرة أخرى،هو مختلف ، جذريّاً، عن "**ر**".في واقع الأمر،درس **سيرل** هذه المسألة من وجهة نظر المستمع؛وأضحت المسألة، حينئذٍ، هي معرفة كيف يمكن للمستمع أن يصل إلى فهم أن المتكلم يعني "**س** هو **ر**" في حين أن هذا الأخير يقول شيئاً مختلفاً تماماً.لقد زعم **سيرل** أنه قادر على تفكيك سيرورة التدخل التي يسلكها المستمع عبر جهاز نظري يتضمن **نظرية أفعال الكلام**،ومبادئ من طبيعة حوارية ، والمعلومات الفعلية التي يتمتع بها المتكلمون.يسمح له هذا الجهاز النظري، في واقع الأمر، بالأخذ بعين الاعتبار جميع حالات التلفظ اللاّ حرفية التي يقوم بتحليلها.

وفي حالة الاستعارة،تتضمن المنهجية التي كشف عنها ثلاث مراحل: الكشف و الجرد والحصر. وباعتماد التبسيط في عرض الأشياء ؛بمعنى تحاشي مناقشة المبادئ الحوارية والمعلومات المطلوبة من طرف المتكلمين،يمكن أن تتسم هذه المراحل الثلاث بالشكل الآتي:

-يجب على المتكلم،بداية، الكشف عن الخلل في التلفظ "**س** هو **ب**"،وينبغي، على نحو ما، أن يلغي إمكانية أن يبحث المتكلِّم، فعلاً، عن إرادة أن "**س** هو **ب**" بالقول إن "**س** هو **ب**"، وبالنتيجة يقوم بالبحث عن دلالة أخرى غير "**س** هو **ب**".

-ولكي يصل المستمع إلى ذلك، ينبغي عليه أن يُحصي ويقدِّر الوجوه المختلفة ل "ب" التي يمكن،بموجبها، للمتكلم أن يقول: "**س** هو مثل **ب**"(وليس حرفيّاً "**س** هو **ب**"بالقول على الأقل "**س هوب**")

-وأخيراً،يتوجب على المستمع حصر هذه الوجوه التي لـ"**ب**"والتي يمكن،فعلاً، أن ينسبها ل"**س**" بالنظر إلى هوية وخصائص هذه ال "**س**" والاحتفاظ ،فقط، بإمكانية واحدة ، أو بعض الإمكانيات المميزة.

باختصار،يمكن توصيف المنهجية المقترحة من قبل **سيرل** كالآتي: بعد أن يُحدِّدَ المستمعُ أن دلالة التلفظ غير حرفية،وبالتالي، متميزة عن دلالة الملفوظ"**س** هو **ب**"، يتوجب عليه أن يُحدِّد الملفوظ أو الملفوظات"**س** هو **ر**" التي تكون دلالتها الحرفيةُ متطابقةً مع دلالة التلفظ.

مشكلة الدلالة الحرفية للاستعارات الحربية في الخطاب السياسي

إن الخطاب السياسي حافل بالتعبيرات الاستعارية من كل صنف؛فهو يشتمل على الاستعارات الجسدية("**قلب السلطة**"،"**رأس الحزب**"،"**اليد اليمنى للرئيس**")، والاستعارات الطبيعية ("**رياح التغيير**"،"**موجة محافظة**"). وثمة قدر من الاستعارات السياسية تتعلق بالطبيعة الخلافية للنشاط السياسي.وهذه الاستعارات الرياضية ("**الفريق الليبيرالي**"، "**تسجيل النقط**")، والعسكرية ("**الكتائب الحزبية**"،"**الحصن الاشتراكي المنيع** ")،أو ،على نحو أعم،الاستعارات الحربية ("**استعدوا للهجوم**"،**الانتصار على الخصم**") يمكن،بكل تأكيد،أن تكون موضوع تصنيف ثانوي. وقد رصدت لها العديد من الدراسات[36]. وتوجد، كذلك،دراسة، على الأقل، للاستعارات الحربية في التواصل السياسي[37]تزعم استحضار **نظرية أفعال الكلام لسيرل**.

وبصرف النظر عن هذه الفروق، ينصب اهتمامي ، في هذا المقام ،على مجموع الاستعارات في التواصل السياسي ذات الصلة بإطاره التعارضي.ولهذا ،إذن،ولغايات دراستي، سأسمي الاستعارة "**حربية**" كل استعارة يجري،من خلالها، التعبير عن بعض ملامح المواجَهَة السياسية.

تقتصر دراستي على الاستعارات البسيطة دون غيرها: أي تلك التي تصف فرداً أو تبرز بعض ملامح سلوكه.

إن صنف الاستعارات التي درسها **سيرل** المتعلقة بشكل "**س هو ب**" تندرج ضمن هذا التصنيف العام.وإليكم بعض أمثلة الاستعارة البسيطة في التواصل السياسي :"**الحزب الفلاني غارق في الفوضى**"، "فلان وضع رأسه في المشنقة"، "دعا فلان إلى هدنة دستورية"،"**اعترض فلان على مثل هذه التجاوزات**"،"**أطلق فلان آخر رصاصاته**"،"**فلان ينتهج سياسة الأرض المحروقة**"،"ضرب فلان بيده على الطاولة"،"**فلان نسف جهود وزرائه**"،"**فلان وجد نفسه وقد وضعت السكين على حنجرته**".

ويمكن لهذه الاستعارات الحربية في التواصل السياسي أن تدرس ، ضمن حدود النظرية الثانوية للدلالة غير الحرفية للاستعارة لدى **سيرل**، بالطريقة الآتية: إما،وعلى سبيل المثال، أن يكتشف المتكلم في التعبير:"**فلان هو معادٍ**"خللاً يقوده إلى الافتراض بأن المتكلم لا يريد،حقّاً،أن يقصد أن "**س** هو معادٍ"("**س** هو **ر**") فيتعيَّن عليه، بالنتيجة، أن يبحث عن دلالة أخرى("**س** هو **ر**"). وبعبارة أخرى، يقرُّ المستمع أن دلالة التعبير :"**فلان هو معادٍ**"، وهو ما يريد المتكلم قوله حقّاً، تتميز عن دلالة الملفوظ، فينبغي، بالنتيجة، أن يبحث عن ملفوظ آخرتكون دلالته متطابقة مع دلالة التلفظ في "**فلان هو معادٍ**". وبموجب مبدأ القابلية للتعبير ينبغي أن يكون هذا الملفوظ موجوداً (أو يمكن إبداعه)،وبالمِثل، يمكن للمتكلم أن يلجأ،هنا،إلى التعبير الحرفي: فإذا اختار أن يتلفظ ب "**س** هو **ب**" للدلالة على أن"**س** هو **ر**"، فقد كانت له،مع ذلك،إمكانية أن يتلفظ"مباشرة"بمعنى حرفيّاً"**س** هو **ر**".

ثمة نقطتان أساسيتان في هذا المقام: تَعرُّف الاستعارة والضرورة الناتجة عن ذلك والمتمثلة في إيجاد دلالة حرفية للتلفظ.في البداية،هناك الاستعمال (الشائع،والمألوف) ل"فلان هو مُعادٍ" في الخطاب السياسي هو استعمال استعاري بكل تأكيد.إن لفظ معادٍ يستعمل،على نحو واضح، بالمعنى المجازي، لتسمية شخص "يحب، يرغب في الخصومة"وهو المعنى الذي يقر به المعجم. إن الإقرار بالطابع غير الملائم لاستعمال المصطلح(في تأويله الضيق)،وبالتالي،الإقرار

بالانزياح المميّز للاستعارة بين "**س** هو **ب**" المنطوق به،و"**س** هو **ب**" المقصود يقوم على أساس عدم الملاءمة بين المعنى الحرفي ل "فلان هو معادٍ" وسياق التلفظ.ويبدو من غير المناسب استعمال هذا الملفوظ في معناه الحرفي في صلته بوضع غير حربي:إن وصم شخص ما بالعدائي غير مفهوم في سياق آخر غير سياق الحرب. ففي خطاب تقريري صرف (فيه كل" **س** هو **ب**" ستستعمل للدلالة، بالفعل،على أن "**س** هو **ب**") يكون لفظ "معادٍ" وسياق التواصل السياسي غير متلائمين (فيما عدا وضعية مواجهة مسلحة فعلية بين قوتين سياسيتين،وهذا أمر واضح).

وإذا كانت دلالة التلفظ السياسي لا تناسب، إذن، دلالة اللفظ "س هو معادٍ" فماذا تكون؟ إن عدم القبول بـ:"**س** هو **ب**" يستدعي البحث عن "**س** هو **ر**".هذا البحث عن الدلالة الحقيقية للتلفظ يعود إلى تداخلها مع ملفوظ آخر تكون دلالته الحرفية متطابقة مع دلالة التلفظ.إن الأمر يتعلق ،هنا، بالملمح المركزي للاستعارة كما وصفها سيرل: يجب أن يتطابق مع كل تعبير غير حرفي تكون فيه الدلالة التي يفيدها التعبير غير صريحة، طبقاً لمبدأ القابلية للتعبير، تلفظ حرفيٌّ؛ بمعنى أنه ينبغي أن يوجد ملفوظ يفيد، بفضل دلالته الحرفية، الدلالة الحرفية للتلفظ والذي سيكون استعماله ناتجاً عن تلفظ حرفي.إن اللجوء إلى استعارية الملفوظ"فلان هو معادٍ"،في سياق التواصل السياسي، يتضمن وجود ملفوظ آخر يمكن أن يحمل دلالة التلفظ.

ماذا يمكن أن يكون هذا الملفوظ؟وكيف ستكون " **س** هو **ر**" من "س هو **ب**" التي يتكون منها " س هو معادٍ"؟ وماذا يمكن لمتكلم أن يقصد عندما يقول "فلان هو معادٍ"؟ هذه هي الأسئلة الجوهرية التي تطرح نفسها في موضوع الاستعارات الحربية في التواصل السياسي.إن الطرح الذي أنتصر له هو أنه لا وجود ل "**س** هو **ر**" يجري البحث عنها في هذه الاستعارات، وأنه لا وجود لملفوظ تتطابق دلالته الحرفية مع دلالة التلفظ في الاستعمال الاستعاري في "فلان هو معادٍ".

إن المشكلة المثيرة والحاسمة التي تطرحها الاستعارة الحربية للتواصل السياسي تتمثل في عدم إمكانية إيجاد معنى حرفي لها، أو بتعبير أدق، عدم إمكانية إيجاد ملفوظ يفصح، بفضل

دلالته الحرفية، عن دلالة التلفظ. وبالنظر إلى منهجية سيرل، لا تكمن الصعوبة في المرحلة الثالثة، أي في الفرز و الاحتفاظ بدلالة من بين إمكانيات، ولكن تكمن في المرحلة الثانية، أي في إقامة الإمكانيات المختلفة.وبعبارة أخرى، إن مشكلة الاستعارة الحربية في التواصل السياسي تكمن في عدم وجود ما يُرشَّح ليكون ملفوظاً حرفياً ل"**س** هو **ر**".

الاستعارة الحربية في التواصل السياسي:استعارة حرفية

هذه الملاحظة لا تسمح إلاَّ بفهم واحد: ذلك الذي يتمثل في الاعتراف أو الافتراض بأن الاستعارات الحربية، وعلى العموم البعض منها،يتم استعمالها ،في الواقع،على نحو حرفي. وباستحضار المثال أعلاه، عندما يقول متكلم "**س** هو عدائي" فهو يريد بالفعل أن يقصد: معنى من قبيل **س** يبحث عن المشاكسة والمواجهة.انطلاقاً من وجهة النظر هاته، تلحق دلالة التلفظ، بالكامل، دلالة الملفوظ ولن يكون هناك انزياح بين "**س** هو **ب**" بما أنهما، في الواقع (لإجراء ما يلزم) متطابقان.

ولكن ستشكل الاستعارة الحربية في التواصل السياسي، حينئذٍ، تناقضاً كبيراً : فهي استعارة حرفية. إن ملفوظاً مثل :"فلان هو معادٍ" هو، بالفعل، ملفوظ استعاري؛ بمعنى أن استعماله يفسح المجال أمام بروز شكل من التلفظ غير حرفي...والذي يبدو، من جهة أخرى، ثنائياً ! فكيف نفهم هذه الظاهرة؟ لنستعد عناصر التحليل الواحد بعد الآخر." س هو معادٍ" هي استعارة بالفعل، لأن استعمالها، وبأدق تعبير، غير ملائم ،بكل وضوح،لسياق التواصل السياسي.والدليل على ذلك أن المستمع يكشف عن خلل، وينبري للبحث عن تأويل آخر:عن "**س** هو **ر**" الذي قد يقصده المتكلم بقوله :"**س** هو **ب**"، ولكن عندما لايعثر المستمع على تأويل ملائم، مثلما هو الحال أن "**س** هو **ر**"، ينبغي أن يعود،أخيراً، كي يكتفي ب "**س** هو **ب**". أو بالأحرى، ينبغي أن يُسلِّم بأن "**س** هو **ر**" التي يقصدها المتكلم هي، بالتحديد، ورغم كل شيئ،"**س** هو **ب**" التي يتلفظ بها.ويبدو أن هذا الانتقال حصل ،بصفة عامَّة، وفق الطريقة الآتية :في حالة الحرب (الحرب الحقيقية) تكون "فلان هو معادٍ" استعارة وعبارتها هي، بالنتيجة، غير حرفية، ولكن انطلاقاً من وجهة نظر التواصل السياسي (وانطلاقاً من تصور حربي للتواصل السياسي)

يصبح استعمال الملفوظ، مع ذلك، حرفياً بصفة كاملة ويفقد، إذا جاز التعبير، بهذه الكيفية صفته الاستعارية.

يتطابق هذا الإجراء، في نظرية سيرل الثانوية، مع **الاستعارة الميتة** (***deadmetaphor***). وتعتبر الاستعارة استعارة ميتة، في الجهاز المصطلحي لسيرل، عندما تكون الدلالة الحرفية الأصلية للملفوظ ما ملغاة لصالح دلالة غير حرفية لتلفظها، عندما تصبح هذه الدلالة السابقة غير الحرفية الدلالة الحرفية للملفوظ الذي يفقد،إذا جاز التعبير، وانطلاقاً من وجهة نظر التلفظ، وضعيته الاستعارية. وهذا ما حصل، بالضبط، مع ملفوظنا "فلان هو معادٍ" : استبدلت دلالتُه الحرفية الأصلية (من قبيل "فلان يحب العراك، وخصومة الحرب الحقيقية) بالدلالة الاستعارية غير الحرفية لتلفظه (من قبيل "فلان يحب العراك، والخصومة في السياسة")التي غدت، بهذه الكيفية، الدلالة الحرفية الجديدة للملفوظ.

خلاصة :التواصل السياسي هو تواصل استراتيجي

إن تناقض الاستعارة الحربية في التواصل السياسي(مرة أخرى، هذا التحول في استعمال الملفوظمثل : "س هو معادٍ" من تلفظ غير حرفي إلى تلفظ حرفي)يُفسَّر،أساساً،بتحويل التواصل السياسي إلى تواصل استعاري من خلاله يُفهم التواصل السياسيوينظر إليه على أنه حرب. وبتعبير أدقَّ، ستعتبر السياسة والتواصل السياسي، نتيجة لذلك، شكلاً مجازياً للمعركة أو الحرب.

وفي هذا الصدد،ولكن على مستوى عام، دافع لاكوف (**Lakoff**) و (**Johnson**) [38]على أنه ينبغي أن ينظر إلى جميع أشكال النقاش المُمأسس في المجتمع المعاصر على أنها تطبيقات لما يدعوانه بـ:"**الاستعارة البانية**"(**la métaphore structurante**) .*إن النقاش المُعقْلن هو الحرب* .وعلى النحو الآتي يقترحان أطروحتهما :

(...)إن تصورنا للنقاش ولطريقة إدارته تقوم على معرفتنا وعلى تجربتنا في العراك البدني.فرغم أنك لم تشترك مطلقاً في حياتك في أي مشاداة بدنية، وأقل من ذلك في حرب،

فقد انخرطت في نقاشات في اللحظة التي بدأت فيها بالتحدث والتفكير والتجادل عن طريق الاستعارة. إن النقاش هو الحرب لأنه جزء لا يتجزأ من المنظومة المفاهيمية للثقافة التي تعيش فيها[39].

وقد ذهب **لاكوف وجونسون** إلى حد اقتراح تمييز بين الحوار والنقاش على أساس إدخال عنصر المواجهة على الثاني:

يصير الحوار نقاشاً حقيقيّاً عندما يكرس كلُّ متحاورطاقتَه في الحوار محاولاً تسفيه رأي الآخر، ومتفانيا،في الوقت ذاته،في الدفاع عن موقفه. يبقى النقاش حواراً إلاَّ أن التعاون المُؤدَّب الذي يؤشر على التحكم في البنية الحوارية يمكن أن يعاد فيه النظر إذا احتدم النقاش[40].

إن التواصل السياسي هو المجال الذي يتم فيه، بوضوح، الانتقال من الحوار إلى النقاش. وهذا ما يفسر أن التواصل السياسي يمكن أن يصاغ أو أن يتم تلقيه كمعركة أو كحرب.وحرف التشبيه (الكاف) يعني على طريقة الحرب،أو إن شئنا كحرب استعارية.

إن اضفاء الطابع الاستعاري على السياسة، إلى جانب الحضور الثابت للاستعارات الحربية في الخطاب السياسي، يفسح المجال،على نحو أكثر شمولاً،لنوع من التحديد لخصائص التواصل السياسي:ذلك الذي يعرف السياسة بمثابة تواصل هجومي،وبصفة أكثر دقة كذلك،تعريف التواصل السياسي بمثابة مواجهة. وضمن هذا المنظور أصبح التواصل السياسي(**political communication**)، في السنوات الأخيرة،في أمريكا الشمالية كما في أوروبا، مجالاً مهمّاً في التواصل العمومي و الاجتماعي. وفي غمرة هذا الانبثاق توصل الباحثون إلى اقتراح تحديد السياسة بمصطلح التواصل،وتحديد ميزة التواصل السياسي بمصطلح المواجهة بين خطابات متعارضة. وفيما يأتي التعريف الذي قدَّمه دومينيك وولتون **Dominique Wolton** للتواصل السياسي:

(...)الفضاء الذي تتبادل فيه ثلاثة خطابات متناقضة، لثلاثة فاعلين يملكون الحق في الحديث السياسي أمام العموم، وهم: رجال السياسة،والصحفيون، والرأي العام الذي يعبر من خلال عمليات سبر الآراء[39].

إن هذا التصور للسياسة، وهذا التحديد الدقيق للتواصل السياسي يكشف عن مجال خاص في البحث من شأن الخوض فيه أن يُمكِّن، كما أتصور، من فهم أفضل لاستعمال الاستعارة الحربية في الخطاب السياسي: إنهالحجاج الاستراتيجي.ولقد بدأت بتحديد الحجاج الاستراتيجي[40]. لنقل في هذا المقام: إنها تتألف من هذا الصنف من الحجج ذات الصلة بالطبيعة التعارضية للتواصل السياسي، أو ما يصفه **وولتون**بحيز تَواجُه خطابات متعارضة. وبعبارة أكثر دقة، يكشف الحجاج الاستراتيجي عن الإجراءات الخطابية التي ترتبط بشكل وثيق (وأيضاً جوهري إن لم يكن وحيداً) بالطبيعة الصراعية أو الجدالية للتواصل السياسي. لنُعط مثالاً وحيداً يتعلق بالحجة الشخصية (**ad hominem**).فهي ، كما تستعمل دائماً في السياسة ،لاتتعلق بالنقاش أو التبادل العفوي للأفكار، بل بالهجوم البسيط للخصم.والحجة الشخصية، في الجهاز المصطلحي للاكوف و جونسون، لا ترتبط بالحوار، ولكن بالنقاش أي بالمواجهة: وظيفتها سحب الثقة من الخصم. نستنتج، على الفور، أن الاستعارة الحربية ترتبط بحقل الحجاج الاستراتيجي للتواصل السياسي.

هوامش البحث :

1- أستاذ بكلية الإعلام والتواصل بجامعة لافال.نسخة جزئية من هذا النص قُدِّمت إلى المؤتمر الدولي الخامس والعشرين للسانيين المنعقد بلافال في غشت 1992 .

2- George LAKOFF

3- لكي نقتنع بالأهمية التي تحظى بها الاستعارة في مجال الدراسات العلمية،يكفي أننستحضر القوائمالهائلة من الدراسات المخصصة لذلك.أنظر على سبيل المثال:
Jean-PierreVAN NOPPEN et Édith HOLS, Metaphor II. A Classified Bibliography of Publications1985 to 1990, Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins Publ. Co., 1990; JeanPierre VAN NOPPEM et al., Metaphor. A Bibliography of Post-1970 Publications,Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins Publ. Co., 1985 et SHIBLES et A.WHARREN, Metaphor. An Annoted Bibliography and History, Whitewater,Wisconsin, The Language Press, 1971.

4- MINOGUE et KENNETH, “The Place of Metaphor in the Construction of PoliticalReality”, in Maurice CRANSTON et Peter MAIR (eds), Langage et PolitiqueLanguage and Politics, Bruxelles, Buyaut, 1982, p: 123-135.

5- E. F. MILLER, “Metaphor and Political Knowledge”, in American Political Science Review, 73, 1979, p: 155-170.

6- EPPS et GARRETT, “Politics as Metaphor”, in Virginia Quarterly Review, 55, 1979,p : 75-98.

7- Richard VERNON, “Politics as Metaphor: Cardinal Newman and Professor Kuhn”,in Review of Politics, 41, 1979, p: 513-535

8- هنا أيضاً،تدل المراجع على أهمية حقل البحث هذا .أنظر من بين المراجع:

Dennis JACKSON E.A. NICKERSON et F.B. JACKSON, “The Style of Political Discourse: Annoted Bibliography II: Metaphor andSemiotics”, in Style, 16, 1982, p. 143-148, et J. SEAMAN, “The Style of PoliticalDiscourse: An Annoted Bibliography”, in Style, 8 (3), 1974, p. 477-528

9- D.K. MUMBY et C. SPITZACK, “Ideology and Television News: A MetaphoriAnalysis of Political Stories”, in Central States Speech Journal, 34, 1983, p. 162-171.

10-C.U. LARSON, “Media Metaphors: Two Models for Rhetorically Criticizing the Political Television Spot Advertisement”, in Central States Speech Journal, 33 1982, p. 533-546.

11-B. CIERREUX, “Le sport: une mine d’or pour la presse politique”, in Le Ligueur, 46,1981, p. 4.

12-Charles KAUFFMAN, “Names and Weapons”, in Communication Monographs, 56,

1989, p. 273-385.

13-R. PAINE, “The Political Uses of Metaphor and Metonym: An Exploratory Statement”, in Politically Speaking: Cross-Cultural Studies of Rhetoric, Philadelphia, Institute for the Study of Human Issues, 1981, p. 87-200.

14-J. Enoch POWELL, “The Language of Politics, in L. MICHAELS et C. RICKS (eds),The State of the Language, Berkeley, University of California Press, 1980, p. 432-39.

15- E. ZASHIN et P.C. CHAPMAN, “The Uses of Metaphor and Analogy Toward aRenewal of Political Language”, in Journal of Politics, 36 (2), 1974, p. 290-326.
16-Nicholas HOWE, “Metaphor in Contemporary American Political Discourse”, inMetaphor and Symbolic Activity, 3 (2), 1988, p. 87-104.
17- W. KITCHEN, “Imagery, Emotion, and Cause and Effect in Presidential Language”,inInternational Political Science Review, 8, 1987, p. 111-119.
18-D. HENRY, “The Rhetorical Dynamic of Mario Cuomo’s 1984 Keynote Address:Sithor”, in Southern Spech Communication Journal, 53, 1988, p. 105-120.

19-J.-P. ETIENVRE, “Du jeu comme métaphore politique. Sur quelques textes depropagande royale diffusés en Espagne à l’avènement des Bourbons”, in Poétique,56, 1983, p. 397-415.

20- S.R. HANKINS, “Archetypal Alloy: Reagan’s Rhetorical Image”, in Central StatesSpeech Journal, 343, 1983, p. 33-43.

21-PERRY, “Rhetorical Functions of the Infestation Metaphor in Hitler’s Rhetoric”, inCentral States Speech Journal, 34, 1983, p. 229-235.

22-J.P. JOHNSON, “Nixon’s Use of Metaphor: The Real Nixon Tapes”, in Psychological Review, 66 (2), 1979, p. 263-274.

23 -H.R. RYAN, “Roosevelt’s First Inaugural: A Study of Technique”, in QuarterlyJournal of Speech, 65 (2), 1979, p. 137-149.

24-James HOWE, “Carrying the Village: Cuna Political Metaphors”, in David SAPIR etChristopher J. CROCKER (éds), The Social Use of Metaphor, Pennsylvania,University of Pennsylvania Press, 1977, p. 132-163.

25- Thomas CLARK, “Rhetorical Image-Making: A Case Study of the Thomas Paine - William Smith Propaganda Debates”, in Southern Speech Communication Journal,40, 1975, p. 248-261.

26-H. GANSSMAN, “Abstract Labor as a Metaphor: a Comment”, in History of PoliticalEconomy, 20 (3), 1988, p. 461-470.

27- M. ANGENOT et D. SUVIN, “L’implicite du manifeste: Métaphores et imagerie de ladémystification dans le Manifeste Communiste”, in Études Françaises, 16 (3-4),1980, p. 43-67.

28-Martin MEDHURST, Cold War Rhetoric: Strategy, Metaphor and Ideology, Westport. Conn., Greenwood Press, 1990.

29-R.L. IVIE, “Metaphor and the Rhetorical Invention of Cold War Idealists”, inCommunication Monographs, 54, 1987, p. 165-182 etIdem, “Literalising the Metaphor of Soviet Savagery: President Truman’s Plain Style”, in Southern SpeechCommunication Journal, 51, 1986, p. 91-105.

30-N. JOHNSON, “Palestinian Refugee Ideology: An Enquiry into Key Metaphors”, inJournal of Anthropological Research, 34 (4), 1978, p. 524-539.

31-J. BOSMAN, “Persuasion Effects of Political Metaphors”, in Metaphor and Symbolic Activity, 2, 1987, p. 97-113.

32-Voirsurtout John R. SEARLE, Speech Acts. An Essay in the Philosophy of Language, Cambridge, Cambridge University Press, 1969. Idem, Expression and Meaning. Studies in the Theory of Speech Acts, Cambridge, Cambridge UniversityPress, 1979. Idem, Intentiality. An Essay in the Philosophy of Mind, Cambridge,Cambridge University Press, 1983.

33-John R. SEARLE, “Literal Meaning”, in Erkenntnis, 13 (1), 1978, p. 207-224.

34-John R. SEARLE, Expression..., op. cit., p. 76-116.
35-Ibid., p. 107-110.

36-Voir, entre autres, Nicholas HOWE, op. cit., Kenneth MINOGUE, op. cit., BernardP. KIERMAN, “War and Zero-Sum Games”, in Virginia Quarterly Review, 53, 1977,p. 17-31 et Ike BALBUS, “Politics as Sports: the Political Ascendancy of the SportsMetaphor in America”, in Montly Review, 26 (mar.), 1975, p. 26-39.

37-F.R. DALLMAYR, Language and Politics — Why Does Language Matter to PoliticalPhilosophy, Notre-Dame, University of Notre-Dame Press, 1983.

38- George LAKOFF et Mark JOHNSON, Les métaphores dans la vie quotidienne, Paris,Editions de Minuit, 1985.

39-Ibid., p. 72-73.
40-Ibid., p. 89.
41-Dominique WOLTON, “La communication politique: construction d’un modèle”, inHermes. Cognition, Communication, Politique, 4: Le Nouvel Espace Public, Paris,Éditions du CNRS, 1989, p. 27-42. (Une version anglaise de ce texte a égalementété publiée: “Political Communication: the Construction of a Model”, in EuropeanJournal of Communication, 5 (1), 1989, p. 9-28.

42- Gilles GAUTHIER, “Autopsie d’un débat politique: L’«interpellation» ParizeauBourassa. Argumentation stratégique et communication politique”, (à paraître).
Ibid., “L’homme et l’argument ad hominem dans la communication politique”, (à paraître)

المصدر:

Recherches en communication, n° 1 (1994).

-